الهبوط الذي نراه لم يحدث فجأة

السبت 2012/5/12 المصدر : الأنباء عدد المشاهدات 2572

اضغط هنا لقراءة ملخص الموضوع

بقلم : فيصل الزامل

بعد أن تحولت الكويت الى مسرح 24 ساعة، فإن الحوارات الجارية فيها لا تختلف في الأسلوب عما يجري في التمثيليات الكويتية المليئة بالشجار والسباب، وهنا ألا يحق لنا أن نتساءل عن تأثير الفن في السلوك العام؟

إنهم يقولون إن النمسا وغيرها ممن تنمو فيها أعمال فنية راقية مثل معارض الرسومات للوحات الجميلة والمسارح الراقية والمشاهد الروائية الاجتماعية التي تتناول قضايا المجتمع الواقعية بطريقة حصيفة وذكية تعالج الجرح ولا تعمقه، هذه كلها ارتقت بالذوق العام في تلك البلاد، ويمكنك أن تجد آثار ذلك في قيادة الناس للسيارة بطريقة محترمة، ومشهد الطابور الهادئ عند مواقف النقل الجماعي وحتى في إجراءات المعاملات في الدوائر الحكومية، حيث تتميز بالسلاسة والبساطة، لأن من وضعها غير مضطرب، كما هو حال الموظفين عندنا ممن يتعرضون لزخات مطر السباب والخناقات الكثيرة في المشاهد التمثيلية كل ليلة فينقل الموظف معه الى العمل في اليوم التالي مصطلحات حفظها ولو بغير قصد، فهذه هي لغة المجتمع الذي يعيش فيه.

نعم، الانحدار الذي نراه في لغة التخاطب لم يحدث فجأة، إنه هبوط تدريجي استغرق سنوات من التعود على الصوت الصاخب والخصومة الفاجرة والتنابز بالألقاب ليس في مجلس الأمة فقط بل في بعض الديوانيات والمقاهي والأسواق (ليش تخز) وفي الطرقات، وفي المحاكم والأسواق وداخل الشركات، حيث تستخدم لهجة مسرح شعبي في اجتماعات رسمية، لهذا لابد من وقفة مع الاعلام الاجتماعي في التلفزيون والخطاب الإذاعي والاعمال المسرحية، فليس الصغار وحدهم الذين يتأثرون، حتى الكبار يتأثرون، وللمقارنة، استمع الى برامج الاذاعة الكويتية في فترة العصر والتي تتميز بالرقي في اختياراتها، بين عالمية ومحلية، قارن ذلك مع لغة معظم التمثيليات والمسرح (فالتوه) وهم يسمون ذلك «الخروج على النص»، وقد تم تعويد الجمهور على أن «القطات» أحلى من النص، وبالمثل تجدهم في الاستجواب يخرجون على النص، ويمتعون الجمهور (...) بعبارات غمز يقابلها من الطرف الآخر سباب، مسرحية كاملة المواصفات، ولكنها مدمرة لمسيرة وطن بأكمله.

هذه الاعمال الفنية (...) تقوم بتمرير أنماط سلوكية خطرة عبر مشاهد تمثيلية يتلقاها المشاهد بطريقة «الإيحاء» ومن ثم تقليدها، وهنا ـ مرة أخرى ـ لا يوجد فرق بين الكبار والصغار، فالصبي الصغير الذي يقلد مشهد الانتحار بتعليق حبل في سقف الغرفة لا يختلف عن الشاب الذي يقلد ممثلا «كاوبوي» يدخن سيجارة وهو على صهوة حصان، وبالمثل لرجل يحمل سلاحا أوتوماتيكيا ويحصد به عشرات البشر فالبطل «رامبو» يفعل ذلك والكل يصفق له، لم لا يقلده؟

يا قوم، الصدمة التى نواجهها فيما يجرى بالبرلمان تحتاج الى وقفة شاملة، بدءا من الإعلام المحلى الذى يجب أن

يدرك أن تأثيره ضخم في تنمية ذوق عام رفيع، وصولا الى المعالجات التشريعية التي لن تنفع وحدها إن لم تتوافر لها بيئة مجتمعية ترى (المنكر منكرا) لا مجتمع (يرى المنكر معروفا)!

لابد من وجود متخصصين في تطوير دور المواد الإعلامية فيما يتعلق بالتأثير السلوكي العام، إيقاع الموسيقى المصاحبة لنشرة الأخبار ـ مثلا ـ يختلف تأثيره إذا جاء على خلفية طبول حرب وخبطات متلاحقة تنذر بالويل والثبور، عن نقرات منتظمة تنبه الى بدء فقرة جادة، مثلا، في الصباح هناك مادة إعلامية تدلك أعصاب الموظفين وهم يتجهون الى أعمالهم بمواد إخبارية ايجابية منعشة أو حوارية منشطة للهمم فيجد الناس ـ المراجعون ـ أثرها على موظفين وموظفات لا يرسمون العبوس على وجوههم، ولا يسيطر التوتر على أعصابهم وهم يتحدثون، على العكس تماما، فيزداد الإنتاج ويشكر الناس في هذه الأجهزة وتلك الدوائر.

انه دور كبير، نأمل أن تقوم به الجهات المختصة.. خير قيام.